جليل حيدر

رماد الكاكي

1

يوماً بعد يومٍ
تلدُ الأيامُ خسارتَها ودموعَها
يوما بعد يوم
يجلس رجلٌ الى منضدةِ أحلامه
مع الشمع والرحيلِ.
الماضي يفتح قلب اغنيته على اللون
الأصفر
والى قاطرتها تمضي الأيام،
ثم..
رجلٌ كما في المشهد السابق
كآبةٌ مثل هرَّةٍ دافئة تتمدد
في الغُرَف.
الأغاني يفصل رؤوسَها النوم
يوما بعد يوم
وربما إلى الأبد !

2

يا من تُقيمُ الحدود اصغ الى لياليّ
الخرساء، الْتَفِتْ الى هذا الحزنِ
يرفرفُ كعَلَمٍ مهزوم في التذكار
والضيق والخوفِ
أقمْ حدّي في حراستك، مناديلكَ
والعين الزرقاء،
أخْضَرّ البابُ، الضريح، المرايا
وماء الورد.
عند باب الحوائج حُبّي يسوقُ قطعانه

بين الجميلات، يرتجلُ حياءهُ من
الذبحة حتى عباءته السوداء
تَسّاقَطُ قطع المعدن والاوراقُ
النقدية. للحرس طيور، للأحذية
والصنادل حرسٌ، والنعوشُ بضاعةُ
الغروب وبكاء الطفولة..

ياسيّدي امرأةٌ
يا سيدي شاباً وسيماً
ياسيّدي مفتاحَ القفصِ حيثُ
سِنيني تهرب مُذْ أطْلَقَ الخبرُ
رصاصاتِهِ الطائشة.
هاك عطبي انا حُسينية الصراخ
والجلد الحامض، فهل مِنْ مُجيب
للمضطر ويكشفُ السوءَ ؟
أُنظر سيدي إن ضدّي قد تعظم
فسُبيت وأدركني كل الطاردين
بين الضيّقات. قلبوا سبيلي.

سَيَّجُوا عَلَيَّ. كَبسوني بالرمادِ،
أنا الحريقُ :
[مرَّةً أهمُله أو أدَّعيهِ.
مرَّةً أُقْتَلُ فيهِ
مَرَّةً ألْجأُ مبهوراً اليهِ
إنَّمَا في كُلِّ مَرَّهْ
يسقطُ الناووس من بين يدّيْ]
أو..
أسقط في حفرةِ
حُفْرَةِ مَاضٍ،
حُبٍّ يفشَل ويأكل نفسَه
حفرةِ سهراتٍ خافتةٍ ، وامرأةٍ
تركُض في حقلِ الذكرى
أُوقِدُ لكَ سيّدي بخوراً وشموعاً

وجرائقَ لا تُحصى مَدجَّجاً بالغصة،
ساكباً مراراتي ومنافضَ القلب،
مالي أُكتِّمُ حبّاً فإن الركبَ مرتحلُ
وهل تطيق وداعا يا معسكرَ
الانتظارِ، جيش الاعصابِ، صداقةَ
الدفلى، والأخت الكبيرة ؟
أتوب على يدِ النسيان
من بقعةٍ الى البقاع، سيِّدي
أهرع متوسِّلا البياضَ ولا
منْ مُجيب
من امرأةٍ إلى نفسي، السيولُ
ذاتها والخيل رايةٌ
من معارضة الى الإثمْ وقد
كنت قبل اليوم صعباً قياديا
من عرقِ التوما الى الحرب
ومن الحرب الى الأمير ميشكيني ،؟
اطفال الآر. بي. جي. هنْري
تروايا. آل ياتشينو وحبيبتي.
فمن إذا ما صرختِ يسمعني من
الملائكةِ ؟
لا أحد ولا من مجيب
لا أحد
وربما إلى الأبد !

دمشق ــ آذار 1983